56 - إنك لا تهدي من أحببت ولكن ا يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين .

- 57 - وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون .

يقول تعالى لرسوله صلى ا عليه وسلّم : إنك يا محمد { لا تهدي من أحببت } أي ليس إليك ذلك إنما عليك البلاغ وا يهدي من يشاء كما قال تعالى : { ليس عليك هداهم ولكن ا يهدي من يشاء } وقال تعالى : { وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين } . وقد ثبت في الصحيحين أنها نزلت في (أبي طالب) عم رسول ا صلى ا عليه وسلّم وقد كان يحوطه وينصره ويقوم في صفه ويحبه حبا شديدا فلما حضرته الوفاة دعاه رسول ا صلى ا عليه وسلّم إلى الإيمان والدخول في الإسلام فاستمر على ما كان عليه من الكفر و الحكمة التامة روى الزهري عن المسيب بن حزن المخزومي Bه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول ا صلى ا عليه وسلّم فوجد عنده (أبا جهل بن هشام) و (عبد ا بن أبي أمية بن المغيرة) فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " يا عم قل لا إله إلا ا كلمة أحاج لك بها عند ا " فقال أبو جهل وعبد ا بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول ا صلى ا عليه وسلّم يعرضها عليه ويعودان عليه بتلك المقالة حتى كان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا ا فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " وا لأستغفرن لك ما لم أنه عنك " فأنزل ا تعالى : { ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى " وأنزل في أبي طالب : { إنك لا تهدي من أحببت ولكن ا يهدي من يشاء } (أخرجه البخاري ومسلم) وعن أبي هريرة قال : لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول ا صلى ا عليه وسلّم فقال : " يا عماه قل لا إله إلا ا أشهد لك بها يوم القيامة " فقال : لولا أن تعيرني بها قريش يقولون ما حمله عليه إلا جزع الموت لأقررت بها عينك لا أقولها إلا لأقر بها عينك فانزل ا تعالى : { إنك لا تهدي من أحببت ولكن ا يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين } (أخرجه مسلم والترمذي) .

وقوله تعالى : { وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا } يقول تعالى مخبرا عن اعتذار بعض الكفار في عدم اتباع الهدى حيث قالوا لرسول ا صلى ا عليه وسلّم : { إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا } أي نخشى إن اتبعنا ما جئت به من الهدى وخالفنا من حولنا من أحياء العرب المشركين أن يقصدونا بالأذى والمحاربة ويتخطفونا أينما كنا قال ا تعالى مجيبا لهم : { أولم نمكن لهم حرما آمنا } يعني هذا الذي اعتذروا به كذب وباطل

لأن ا تعالى جعلهم في بلد أمين وحرم معظم آمن منذ وضع فكيف يكون هذا الحرم آمنا لهم في حال كفرهم وشركهم . ولا يكون آمنا وقد أسلموا وتابعوا الحق ؟ وقوله تعالى : { يجبى إليه ثمرات كل شيء } أي من سائر الثمار مما حوله من الطائف وغيره وكذلك المتاجر والأمتعة { رزقا من لدنا } أي من عندنا { ولكن أكثرهم لا يعلمون } ولهذا قالوا ما قالوا